

الورقات

في علم المقولات

بقلم الخادم

أحمد الشاذلي الأزهري



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي أوجد وأنشأ بكمال قدرته الخلائق، وأبدع بلطف حكمته العقول والنفوس والأرواح، واخترع هيولى الأجرام العلوية والسفلية، وأوجد أنواع المركبات من الجواهر والأعراض.

والصلاة والسلام على العقل الأول سيد السادات وحائز الكمالات سيدنا محمد المؤيد بالحجج الساطعة والبراهين القاطعة، وعلى آله الجواهر الفردة، وأصحابه الأجناس المنفردة، نجوم الهدى وشموس الدجى، وبعد:

فهذه ورقات نذكر فيها مهمات علم المقولات بقول مختصر وجيز ليكون إرشادًا للمتعلمين في طرق التعليم، كتبها أضعف عباد الله وأحوجهم إلى رحمته ورضوانه، وأفقدهم إلى لطفه وإحسانه أحمد الشاذلي الأزهري ختم الله بالحسنى وبلّغه السعادة القصوى. آمين



مقدمة في تعريف المفهوم وبيان أقسامه

تعريف المفهوم

اعلم وفقني الله وإياك أنّ **المفهوم والمعلوم**: هو الصورة الحاصلة من الشيء عند المدرك مع قطع النظر عن اتصافه بها.

واعلم أنّ **المفهوم والمعنى** متحدان بالذات، فإن كلا منهما هو الصورة الحاصلة في العقل أو عنده، وهما مختلفان باعتبار القصد والحصول، فمن حيث إن الصورة مقصودة باللفظ سميت معنى، ومن حيث إنها حاصلة في العقل سميت بالمفهوم.

***

أقسام المفهوم

اعلم أيها الأخ الحريص على التحصيل وسبل التعليم أن كل مفهوم ـ وهو الصورة الحاصلة في العقل ـ إذا نسبنا إليه الوجود الخارجي، فإمّا أن يصح إتصافه به لذاته ، أوْ لَا.

فإن لم يصح إتصافه به لذاته فهو ممتنع الوجود لذاته، كشريك الباري.

فإن صح إتصافه به، فإما أن يجب إتصافه به لذاته، أوْ لَا.

الأول: هو الواجب الوجود لذاته، وهو الله تعالى لا غير.

الثاني: هو ممكن الوجود لذاته، وهو ما عدا الواجب من الموجودات.

***

مفهوم المقولات

اعلم أيها الحبيب الأريب أن المقولات : جمع «مقولة»، وهو لفظ صادِق على كلِّ ماهية تُقال ـ أي: تحمل، أي: يخبر بها ـ ، فإن القول عندهم معناه الحمل ـ أي: الإخبار ـ .

ولكنه خُصَّ اصطلاحًا بالجِنس العالي؛ لأنه أوسع دائرة في الحمل من غيره.

أي: أنها لما كانت أجناسًا عالية كانت أوسع مقولية، وصدقًا من غيرها من حيث إنها تصدق على ما صدق عليه جميع الأفراد المندرجة تحتها. كـ«الجوهر» ـ مثلاً ـ فإنه يصدق على الجوهر الفرد وعلى مطلق الجسم وعلى الجسم النامي وعلى الحيوان، بخلاف ما تحته فإنه لا يصدق عليه ولا على ما فوقه، بل كل جنس منها إنما يصدق على ما تحته .

فالمقولات هي الأجناس العالية المحيطة بجميع الموجودات الممكنة.

الجنس العالي: هو الذي ليس فوقه جنس، وتحته جنس.

خرج به:

- الجنس السافل: وهو الذي فوقه جنس، وتحته أنواع، كـ«الحيوان».
- والجنس المتوسط: وهو الذي فوقه جنس، وتحته جنس، كـ«الجسم النامي».
- والجنس المنفرد، ولم يظفروا له بمثال متفق عليه.

وخرج بـ «الموجودات»: الأعدام والسلوب.

وكذا الأمور الاعتبارية، سواء كانت ثبوتية أو عدمية ليست مندرجة في المقولات التي هي أجناس عالية للموجودات الممكنة.

وخرج بـ «الممكنة»: ذات الرب ـ تقدس وتعالى ـ وصفاته، فلا يندرج شيء من هذه الأشياء تحت شيء من تلك المقولات.

إذا علمتَ هذا فاعلم أن علم المقولات : هو علم يبحث فيه عن الأجناس العالية للموجودات الخارجية الممكنة .

وعليه فهم قسم من أقسام الحكمة ؛ لأنها تبحث عن الموجودات الخارجية.

تنبيه: اعلم أن لا يصح تحديد هذه المقولات العشر التي هي أجناس عالية لأنها بسائط، والتحديد لا يكون إلا للمركبات.

ولا يصح أيضًا أن ترسم رسمًا تامًا ؛ لأن الرسم التام لا يمكن بدون أخذ الجنس فيه، والفرض أنها أجناس عالية فلا جنس فوقها .

لكن يصح أن ترسم رسما ناقصًا .

فقولهم في تعريف الجوهر: «إنه موجود لا في موضوع» رسم ناقص له.

فالتعاريف التي ستأتي للمقولات من باب الرسوم الناقصة لا التامة ولا من باب الحدود.

حصر المقولات

اعلم أيها النابه أنّ حصر المقولات في عشر إنما هو على رأي مشهور الحكماء، وقد وقع الخلاف والاضطراب بين الحكماء في عدد المقولات وتحقيق الأجناس العالية:

(1) فقيل: هما اثنان: الجوهر والعرض.

(2) وقيل: أربع «الجوهر والكم والكيف والنسبة»، وأصحاب هذا الرأي جعلوا مقولة النسبة جنسًا لما وقع تحتها من الأعراض النسبية.

(3) وقيل: خمسة، وزاد أصحاب هذا الرأي الحركة، وجعلوها مقولة برأسها.

وتفصيل هذه المذاهب مذكور في المطولات والحواشي.

وعمدتُهم فيه: الاستقراء الناقص، وهو «تتبع أكثر أحكام الجزئيات لإثبات الحكم الكلي» ، وهو إنّما يُفيد ظنًّا ضعيفًا ؛ لاحتمال أنْ يكون غير الأكثر على خلاف ذلك.

***

إذا علمت هذا فاعلم أنّ الممكن الموجود بالوجود المحمولي الخارجي:

1) إما جوهر إن استغنى عن محل يُقوِّمه.

بأن لم يحتج إلى المحل قطعًا كالجواهر المجردة .

أو يحتاج إلى محل غير مقوم بأن لم يكن المحل محتاجًا إليه لوجوده، بل كان محتاجًا إليه لاستقراره في الحيز، كهذه الأعيان المادية، فإنها تحتاج إلى المحل، ولكن المحل حيز القرار لا شرط الوجود؛ لأنها تتنقل من هذه المحلات الخاصة إلى محلات أخرى وهي باقية وجودًا.

تنبيه : ينبغي أن تعلم أن الجوهر جنس لما تحته ، ومقول عليه قول الجنس على الأنواع، فهو مقولة برأسها ، وهذا على المشهور، وهو ما جرى عليه الفاضل المصنف في نظمه.

وبعضهم ذهب إلى أنه مقول على ما تحته قول اللوازم على الملزومات.

وكلام كل لا يخلو من نظر.

قال شارح التجريد: أما أن الجوهر هل هو جنس أوْ لَا؟ فلم يتحقق عندي.

والكلام في هذه المقام يطول فمن أراد التفصيل فعليه بالمطولات.

2) وإما عرض إن لم يستغن عن محل يقومه.

تنبيه: اعلم أنّ العرض ليس مقولة برأسه كالجوهر، فليس جنسًا يدخل في حقيقة ما يندرج تحته، بل هو

عرض عام بالنسبة لها، كالماشي بالنسبة للإنسان، فلا يدخل في حقيقة الأعراض التسعة المندرجة تحته، وهذا على المشهور فتنبه.

والعرض : إما أنْ يقبل القسمة لذاته ، أوْ لا .

الأول: «الكم».

والثاني: إما أنْ يتوقف تعقله على تعقل أمر آخر ـ على معنى: أنّ العقل يحتاج في تعقله إلى تعقل أمر آخر، ولذلك سميت نسبًا؛ لأن النسبة لا تعقل إلا بين اثنين ـ ، **أوْ لا** .

الثاني: «الكيف».

والأول: «النِّسبة»، وأنواعها سبعة: «الأين، والمتى، والإضافة، والوضع، وجدة، وفعل ، وانفعال».

وسيأتيك بيان كل على وجه التفصيل.

الكلام في الجوهر

اعلم أيها الأخ البار المتعلم أننا قدمنا الكلام على الجوهر لشرفه بالاستغناء، وكونه ذاتيًا لما تحته.

وأيضًا لأنّ وجود العرض موقوف على وجود الجوهر فناسب أن يقدم عليه.

تعريف الجوهر

اعلم أيها الحاذق أنّ للجوهر بحسب الاستعمال ثلاثة معان:

الأول: حقيقة الشيء وذاته، كما في السؤال عن حقيقة الشيء بأيّ شيء هو في جوهره يراد منه ذات الشيء وحقيقته.

الثاني: الحجر الغالي كالفيروزج والياقوت ونحوهما.

الثالث: الموجود القائم بنفسه.

والأخير هو المقصود بالبحث هنا.

فالمراد بالذات : النفس.

وفي مقابله عرفوا العرض بأنه : الموجود الغير القائم بنفسه.

معنى القيام بالنفس

معنى قيام الجوهر بنفسه:

- **عند الفلاسفة**: هو استغناؤه بذاته عن محل يقوِّمه.
- **وعند المتكلمين**: أن يكون تحيزه بنفسه ـ أي: بذاته ـ، وليس تابعًا لتحيز غيره.

بخلاف العرض فإن تحيزه تابع لتحيز الجوهر الذي هو محله المقوِّم له.

إذا علمتَ هذا فاعلم أن قيام الجوهر وثبوته بنفسه لا بواسطة غيره، فلا يحتاج إلى محلٍّ يَقوم به، بخلاف العرض فإنّ للغير مَدْخَلاً في تحققه وهو المحلّ، فوجود العرض وثبوته بوجود محله وثبوته، فلا وجود له استقلالا.

وعليه فاعلم أنّ معنى «قيام الجوهر بنفسه»: هو عدم احتياجه لمحل يقومِّه ويحققه، كما في العرض، فالجوهر مستغن بذاته عن

المحل بخلاف العرض، فإنه محتاج بنفسه إلى الموضوع، كما سيأتي بيانه.

***

معنى القيام بالغير

عند الفلاسفة: الاختصاص الناعت.

هو أنْ يختص شيء بآخر اختصاصًا يصير به ذلك الشيء نعتًا للآخر، والآخر منعوتًا له، ويسمى الأول: «حالاًّ»، ويسمى الثاني: «محلاًّ».

فمعنى قيام السواد بالجسم: اختصاص السواد بالجسم بحيث يصح أنْ يقال: «جسم أسود».

عند المتكلمين: التبعية في التحيز.

إذا علمت هذا فاعلم أن قوله: (لا يفتقر إلى مقوِّم) أي: لا يفتقر إلى محل يقوِّمه.

والآن نفصل في الكلام على الجوهر على مذهب الفلاسفة فنقول إن:

الجوهر: «الموجود لا في موضوع» ـ أي: محل يقوِّمه ـ ، هكذا رسمه الأوائل.

وأما المتأخرون فرسموه بقولهم: «ماهية إذا وجدت في الخارج قامت لا في موضوع».

ويؤخذ من هذا شيئان :

الأول: أن معنى «إذا وجدت» أي: إذا طرأ عليها الوجود، ومفاده: أن الوجود الذي به موجوديته في الخارج زائد على ما هيته.

فيخرج: الواجب تعالى؛ لأن وجوده الخاص الذي به موجوديته في الخارج عين ماهيته، وإن كان الوجود المطلق زائدًا عليها.

الثاني : أن المعتبر في الجوهرية : كونه بتلك الصفة في الوجود الخارجي لا في العقل.



فيدخل: الجواهر القائمة بالأذهان، وإن كانت من حيث قيامها بالأذهان أعراضًا؛ إذ يصدق عليها أنها إذا قيست إلى وجودها الخارجي كانت لا في موضوع، ولا بأس في كونها أعراضًا إذا قامت بالذهن، وجواهر إذا وجدت في الخارج.

❊❊❊

تعريف الموضوع والمحل

والعلاقة بينهما

الموضوعُ: هو المحلُّ الذي يُقوِّم ما حلَّ فيه ـ أي: يحققه، فيكون وجود ذلك الحال بوجود ذلك المحل الخاص الذي يسمى بالموضوع.

فالمراد بالموضوع: محلٌّ متقوِّمٌ بنفسه مقوِّمٌ لما يحل فيه.

ويُسمى الحالُ في هذا المحل المتقوم بنفسه: عَرَضًا.

وهنا:

- يكون الحالّ مُحتاجًا في وجوده إلى المحل.
- ويكون المحل غنيًّا في وجودِه عن الحالّ.

فإنّ الجِسْمَ ـ مثلا ـ غَنِيٌّ في وجودِه عن اللون، واللونَ مُحتاجٌ في وجودِه إلى الجسم.

حاصل الكلام :

أنّ المحل ينقسم إلى قسمين:

(1) محل يتقوم بما يحل فيه، وهو الهيولى.

(2) ومحل لا يتقوم بما يحل فيه، وهو الموضوع.

والحال أيضًا ينقسم إلى قسمين:

(1) حال يقوِّم ما حل فيه، وهو الصورة.

(2) حال لا يقوم ما حلّ فيه، وهو العرض.

فالصورة والعرض كل واحد منهما أخص من الحال.

إذا علمتَ هذا فاعلم :

- أنّ المحل أعم من المادة لصدقه على الموضوع أيضًا.
- وأنّ الحال أعم من الصورة لصدقه على العرض أيضًا .

ومنه تعلم أيها النابه :

- أن المادة والموضوع متباينان مندرجان تحت المحل اندراج أخصين تحت الأعم.
- وأن الصورة والعرض متباينان مندرجان تحت الحال اندراج أخصين تحت الأعم كذلك.

وعليه فاعلم أنه لا منافاة بين نفي الموضوع عن الجوهر وإثبات المحل له، للخصوص والعموم بينهما؛ إذ الموضوع هو المحل المستغني عن الحال، والمحل يشمل المحل المحتاج إلى الحال.

فعدم الموضوع أعم من عدم المحل، لأن عدم الخاص أعم من عدم العام، فإذا نفينا عن الشيء كونه في الموضوع لا يلزم أن لا يكون في المحل.

تعريف العرض

العرض: هو المفتقر إلى محل يقومه.

وعرفوه أيضًا: بأنه ماهية إذا وجدت كانت في موضوع.

ومعنى وجود العرض في موضوع: هو أن يكون وجود العرض في نفسه هو وجوده في الموضوع.

وقدح فيه السيد الشريف في شرحه على المواقف فقال: هذا ليس بشيء؛ إذ يصح أن يقال وجد السواد في نفسه فقام بالجسم، فالقيام به متأخر بالذات عن وجوده فيه.

وناقشه الأستاذ عبد الحكيم بأنا لا نسلم صحة هذا القول، كيف وقد قلتم إن الموضوع شرط لوجود العرض، فلو كان الوجود متقدمًا على القيام لم يكن الموضوع محتاجًا إليه، ولو سلم فيكفي للترتب بالفاء التغاير الاعتباري، كما يقال «رماه فقتله».

يفهم مما سبق:

أن العرض خرج من تعريف الجوهر؛ لأنه لا يقوم بنفسه بل يقوم بغيره، وأيضًا هو ماهية إذا وجدت في الخارج قامت في موضوع .

وأن الصور الجوهرية ـ أعني الصورة الجسمية والنوعية ـ الحالة في الهيولى الأولى **داخلة في تعريف الجوهر** ؛ لأن محلها غير مقوم لها، بل هي مقوّمة له.

تنبيهان

التنبيه الأول: الهيولى والجسم ليس لهما محل، وإن كان لهما المكان والحيز، فلا تشتبه.

التنبيه الثاني: لا يخفى أن الواجب خارج عن تعريف الجوهر حيث جعل المقسم هو الممكن.

وكذلك إذا جعل المقسم الموجود المطلق، كما وقع في عبارة الإمام الفخر في مباحثه؛ لأن تعريف الجوهر هو الموجود لا في

موضوع، فهو ماهية إذا وجدت كانت لا في موضوع، وليس للواجب تعالى ماهية ووجود زائد عليها؛ لأن وجوده عين ذاته، فلا يصدق عليه أنه الماهية التي إذا وجدت في الأعيان كانت لا في موضوع .

أما من يجعل وجوده تعالى زائدًا على ماهيته يجعله داخلاً تحت هذا الرسم، ولا يطلق عليه لفظ الجوهر؛ لأنّ أسماءه تعالى توقيفية، ولم يرد إطلاق هذا اللفظ في الشرع.

ومع ذلك فإن أصحاب هذا الإطلاق يمنعون من كون الجوهر جنسًا له تعالى؛ لاستحالة دخوله تحت الجوهر، وإلا لكان له فصل، وحصل له التركيب، وقد ثبت بالبرهان أنه يمتنع التركيب عليه سبحانه وتعالى. فتنبه

***

أقسام الجوهر

اعلم أيها الفاضل أن أقسام الجوهر ـ على المشهور من مذاهب الفلاسفة ـ خمسة ، وهي على الترتيب :

(1) **الهيولى الأولى** : وهي جوهر في الجسم قابل لما يعرض له من الاتصال والانفصال، محل للصورتين الجسمية والنوعية.

وهي جوهر مبهم لا تشخص فيه سوى قابليته واستعداده للتشخص، وهو موجود في جميع الأجسام، ويتشخص بالصورة النوعية التي تظهر فيه.

فهو جوهر موجود في حيز القوة لا حيز الفعل، وحتى يخرج من حيز القوة إلى حيز الفعل لابد من حلول الصورة .

(2) **الصورة** : هي ما به يحصل الشيء بالفعل.

وهي قسمان:

الصورة الجسمية : وهي جوهر متصل بسيط ، لا وجود لمحله دونه .

فيستحيل انفكاك المادة عن الصورة؛ لأن المادة الأولى شأنها القبول والاستعداد، ولا فعلية لها، وحتى توجد وتتحقق خارجا وتخرج إلى حيز الفعلية لابد من الصورة الجسمية الجوهرية التي تتقوم بها .

فالصورة الجسمية تلازم الهيولى ولا تنفك عنها.

الصورة النوعية : وهي جوهر بسيط لا يتم وجوده بالفعل دون وجود ما حل فيه، ولا يتوقف وجود محله عليه ؛ لإمكان تبدل الصور النوعية .

(3) **الجسم الطبيعي** : وهو مجموع الحال والمحل :

وهو جوهر مركب يقبل الانقسام طولا وعرضًا وعمقًا.

والجسم الطبيعي منسوب إلى للطبيعة وهي القوة التي هي مبدأ الحركة والسكون، ومن حيث إنه تتنوع بها الأجسام تسمى: «صورة نوعية»، فإن الجسم من حيث إنه جسم ليس فيه إلا الهيولى الصورة الجسمية ويسمى: «الجسم المطلق»، ومن حيث إنه نوع يتركب منهما ومن الصورة النوعية وهي التي تختلف بها الآثار وتتميز بها الأنواع، ويسمى حينئذ: «الجسم المقيد بصورته النوعية»، ومن حيث إنه شخص يتركب منها ومن الصورة الشخصية، وهي عرض يتميز به أفراد النوع الواحد بعضها عن بعض بعد اتحادها في الصورة النوعية المذكورة.

وإنما نسب الجسم إلى الطبيعة ، ولم ينسب لأحد الجزئين الباقيين وهما الهيولى والصورة الجسمية ؛ لأنها أقرب منهما في الوجود.

(4) **العقل**: وهو جوهر مجرد عن المادة في مقام الذات والفعل، يتعلق بالأجسام تعلق التأثير.

(5) **النفس:** جوهر مجرد عن المادة في مقام الذات لا الفعل، يتعلق بالأجسام تعلق التدبير.

ويمكن أن تقول على جهة الاختصار :

الجوهر ينقسم إلى قسمين :

1) جوهر مادي ، ويطبق عليه أيضًا «جوهر غير مفارق» ، وهو:

إما محل لجوهر آخر وهو «الهيولى الأولى» .

أو حال في جوهر آخر وهو «الصورة» أعم من الجسمية والنوعية.

أو مركب من الحال والمحل وهو «الجسم».

2) وجوهر مجرد ـ أي: مجرد عن المادة غائب عن الحواس ـ ، **ويطلق عليه أيضًا** : «جوهر مفارق»، وهو :

إما مجرد عن المادة في مقام ذاته وفعله وهو «العقل».

وإما مجرد عن المادة في مقام ذاته لا في مقام فعله وهو «النفس».

فائدة: اعلم أن الإشراقيين ذهبوا إلى أنّ أقسام الجوهر أربعة : «العقل والنفس والمكان والجسم»، والجسم عندهم ليس مركبا من الهيولى والصورة، بل الهيولى عندهم نفس الجسم من حيث قبوله للصورة النوعية التي هي أعراض يمتاز بها أنواع الجسم، والصورة عندهم هي تلك الأعراض.

وللكلام على أقسامه مباحث كثيرة وذيول طويلة فاطلبها من المطولات.

***

إطلاقات الجسم

اعلم أن لفظ الجسم يطلق بالاشتراك اللفظي على معنيين عند الجمهور من الحكماء والمتكلمين:

- **أحدهما يسمى: «جسمًا طبيعيًا»**: وهو الجوهر القابل للأبعاد للأبعاد الثلاثة المتقاطعة على زوايا قائمة، وسمي بذلك؛ لأنه يبحث عنه في العلم الطبيعي منسوبًا إلى الطبيعة التي هي مبدأ الآثار .
- **وثانيهما يسمى: «جسمًا تعليميًا»**: وهو الكم المتصل الساري في الجسم الطبيعي والقائم به، فالجسم التعليمي هو نفس الأبعاد من غير التفات إلى شيء من المواد وأحوالها، وسمي بذلك؛ إذ يبحث عنه في العلوم التعليمية ـ أي: الرياضية ـ الباحثة عن أحوال الكم المتصل والمنفصل.

– وقد يطلق الجسم في الحكمة المتعالية على الجسم الدهري .

تنبيهات

الأول: اعلم أن كل جسم من حيث هو جسم لا من حيث إنه جسم كذا ، كالإنسان ـ مثلا ـ مركب عندهم من الهيولى والصورة الجسمية، وأما من حيث إنه جسم كذا فمركب منهما ومن الصورة النوعية كما مر معك.

الثاني: اعلم أن نفس الهيولى ونفس الصورة الجسمية ونفس الصورة النوعية جواهر بسيطة ـ كما مر معك ـ لا تركيب فيها أصلا.

***

الجواهر المجردة

اعلم أيها الأخ البار أنّ الجوهر المجرد الغائب عن الحواس قسمان :

الأول: النفس

النفس : وهي مجردة عن المادة ذاتا لا فعلا ؛ لأنها متعلقة بالجسم ـ أي: بالبدن الإنساني والجسم الفلكي ـ تعلق التدبير والتصرف.

ولها قوتان :

1) قوة عاقلة تسمى: «عقلاً عمليًا» وهي قوة الاستنباط والتصرف؛ لانتظام أمر المعاش والمعاد بها .
2) وقوة عاقلة تدرك بها الأمور التصورية والتصديقية تسمى عقلا نظريًا.

ولها أربع مراتب؛ لأن النفس إما ذات قوة استعداد للإدراكات وهو إما ضعيف فالعقل الهيولاني، أو متوسط فالعقل بالملكة، أو قوي فالعقل بالفعل، أو ذات قوة كمال فالعقل المستفاد.

وهي قسمان:

1) **فلكية .**

2) **وإنسانية .**

***

الثاني: العقل

عقل: وهو جوهر مجرد عن المادة ذاتا وفعلا ، يتعلق بالجسم تعلق التأثير .

والعقول عندهم عشرة ، ومنحصرة عندهم في هذا العدد ، ولا يجوز أن تكون أقل من عشرة؛ لأن الأفلاك الكلية عندهم تسعة، ولكل منها نفس متعلقة به تدبر أمره، فيجب أن يكون عقل صادر من الله إيجابًا .

وذلك العقل وإن كان واحدًا في ذاته لكنه متعدد اعتبارًا ؛ لأن له وجودًا ووجوبًا بالغير وإمكانًا .

فحينئذ يصدر عنه :

- باعتبار وجوده الأشرف عقل ثان.
- وباعتبار وجوبه بالغير ـ الذي هو غير شريف من حيث كونه بالنظر إلى الوجود ، وشريف بالنظر إلى الإمكان ـ

نفس للفلك الأعلى، وهي لتجردها أشرف من الفلك المادي، ولاشتراط تصرفها بالمادي أخس من العقل.

- وباعتبار إمكانه الأخس فلك أعلى.

وهكذا إلى تسعة نفوس ومن الأفلاك، فثبت عقول تسعة، ويجب عقل عاشر متعدد تعددًا اعتباريًا لا متناهيًا أزلا وأبدًا ليصدر عنه أمور متعددة غير متناهية أزلاً وأبدًا وهي عالم العناصر والعنصريات.

***

مذهب المتكلمين في المقولات

اعلم أنه لا يوجد اختلاف بين الفلاسفة والمتكلمين على القول بمقولية الجوهر، وإنما الاختلاف يدور حول الأعراض، وهل هي موجودة في الخارج أم لا ؟ .

فلم يعترف أكثر المتكلمين إلّا بوجود «الأين» **في الخارج، ويسمونه بـ«الكون»، ويحصرونه في: «الحركة، والسكون، والاجتماع، والافتراق»، وأنكروا سائر أقسام العرض.**

تقسيم المتكلمين للموجود الممكن

وقسم **المتكلمون الموجودات الممكنة إلى قسمين**: الجوهر والعرض.

وقالوا الجوهر : هو المتحيز بالذات .

المتحيز بالذات: هو القابل للإشارة الحسية بالذات بأنه هنا أو هناك.

وقسموا الجوهر إلى :

(1) ما يقبل القِسمة مُطلقًا ، وهو «الجسم».

(2) وإلى ما لا يقبلها أصلاً، وهو «الجوهر الفرد».

تعريف العرض

عرفه المتكلمون بأنه: «موجود قائم بمتحيز».

وهذا هو المختار في تعريفه عند المتكلمين كما قال السيد في شرحه على المواقف .

وعرفه الحكماء كما سبق لك: بأنه «ماهية إذا وجدت في الخارج كانت في موضوع».

ومعنى وجود العرض في موضوع ـ أي: محل مقوِّم لما حلّ فيه ـ: أن وجوده هو وجوده في الموضوع بحيث لا يتمايزان في الإشارة الحسية، فتكون الإشارة إلى أحدهما عين الإشارة إلى الآخر.

وقال السعد: إن معناه أن وجوده في نفسه هو وجوده في الموضوع، ولذا يمتنع الانتقال عنه، فوجود السواد ـ مثلا ـ هو

وجوده في الجسم وقيامه به، بخلاف وجود الجسم في الحيِّز فإن وجوده في نفسه أمر، ووجوده في الحيز أمر آخر ، ولهذا ينتقل عنه .

فخرجت: الأعدام والسلوب، وذات الرب تقدس وتعالى، وصفاته.

وحصر المتكلمون العرض الموجود في الخارج في :

- **الأين**: ويسمونه بـ «الكون» ويحصرونه في «الحركة والسكون والاجتماع والافتراق».
- **والكيف** .

وأما بقية الأعراض كالكم والأعراض النسبية، فإنها عندهم أمور اعتبارية يعتبرها العقل، ولا وجود لها في الخارج، فإنهم يقولون ـ مثلاً ـ : ليس للكم وجود، ولا زيادة على الجسم، فلا وجود في الخارج إلا للأجزاء التي تركب منها الجسم.

واحتجوا على ذلك: بأنّ الأعراض النسبية لو وجدت في الخارج لوجدت في محلها، وحصولها في محلها نسبة بينها وبين محلها، وتلك النسبة أيضًا في المحل، وكانت أيضًا غير ذاتها، وذلك الغير أيضًا حاصل في المحل، ويكون حصوله في المحل زائدًا عليه، ويلزم التسلسل.

وقال السيد: إنّ المتكلمين أنكروا المقدار والعدد بناء على تركب الجسم عندهم من الأجزاء التي لا تتجزأ، فإنه لا اتصال بين الأجزاء التي تركب منها الجسم عندهم، بل هي منفصلة في الحقيقة، إلا أنه لا يحس بانفصالها لصغر المفاصل التي تماست الأجزاء عليها، فلا يسلمون أن هناك اتصالا، أي: أمرًا متصلا في حد ذاته هو عرض حال في الجسم، وأن الأجزاء التي تعرض في الجسم بينها حد مشترك ، والعدد أمر اعتباري لا وجود له في الخارج لتركبه من الوحدات التي هي اعتبارات عقلية.

وعليه فالمقولات هي : «الجوهر والأين».

ومن غير الأكثر من استثنى «الكيف» أيضًا، **وعليه فالمقولات عندهم ثلاث فقط: «الجوهر، والكيف، والأين»**.

ومنهم من قال باعتبارية الجميع.

ومنهم من قال بوجود الجميع خارِجًا، كالحكماء المستدلين على وجودها بتحققها في الخارج، ولا فرض ولا اعتبار.

***

إنكار المتكلمين للهيولى والصورة

والجواهر المجردة

اعلم أيها النابه أنّ المتكلمين القائلين بالجزء الذي لا يتجزأ ينكرون الهيولى والصورة ولا يقولون بها.

وكذا أنكر جمهورهم الجواهر المجردة؛ لأنه لو وجد موجود كذلك كان مساويًا لله تعالى .

وأثبتها من الأشعرية الحجة الغزالي، وجوّزه الإمام الرازي، وقال به بعض الإمامية وطائفة من قدماء المعتزلة ووافقوا الحكماء في ذلك.

وقالوا : إن النفس الناطقة: جوهر مجرد ذاتًا لا فعلا ، فيتعلق بالجسم تعلق التدبير والتصرف.

قال الأصفهاني : المبحث الرابع في تجرد النفوس وهو مذهب الحكماء وحجة الإسلام الغزالي من أصحابنا ، ويدل على تجرد

النفوس ـ أي: على أنها ليس بجسم ولا جسمانية ـ العقل والنقل.

***

مقولة الكم

تعريف الكم : ما يقبل القسمة لذاته.

خرج بقولنا في التعريف «لذاته»: **ما يقبل القسمة لعارض الكم،** وهو أربعة أشياء؛ **لأنه إما أن يكون:**

(1) محلاً للكم، كالجسم.

(2) أو حالاً فيه، كالضوء القائم بسطح الجسم المضيء.

(3) أو حالاً في محله، كالبياض القائم بالجسم.

(4) أو متعلقًا بمعروضه، كالعلم المتعلق بمعلومين.

أنواع القسمة

القسمة الوهمية: هي فرض شيء غير شيء.

أي: ملاحظة أنه غيره، بعد ملاحظة أنهما شيء واحد، كما هما في الخارج كذلك.

ولكون الوهم تابِعًا للحِسِّ لا يلاحظ العقل فيها إلّا مقدارًا معينًا يحلله إلى أجزاء معينة.

والقسمة الفرضية ـ وتسمى: عقلية ـ : هي الحكم الكلي على أي مقدار بأنه يقبل القسمة، وكل جزء منه كذلك إلى غير النهاية.

فإنّ العقل يتعلق بالكليات المشتملة على الأمور الصغيرة والكبيرة، والمتناهية وغيرها، فيكون مدركًا لها بلا وقوف له في القسمة، ولهذا لم تكن القسمة الفرضية من خواص الكم، بخلاف الوهمية.

والقسمة الفعلية ـ وتسمى: الانفكاكية ـ تنقسم إلى: «كسر، وقطع»، فتحدث في الجسم هويتين ـ أي: حقيقتين ـ خارجيتين.

تنبيه : كل ما قبل القسمة الوهمية قبل القسمة الفرضية، من غير عكس.

تعريف الكم المتصل وقسميه

الكم المتصل: ما يُمكن أنْ تفرض فيه أجزاء، يتلاقى كل جزئين منها على حدٍّ واحد مشترك بينهما، ذي وضع .

ومعنى اشتراكه بينهما: صحة اعتبار جعله نهايةً لأحدهما بدايةً للآخر، أو بداية لهما، أو نهاية لهما.

ومعنى كونه «ذا وضع»: أنه قابل للإشارة الحسية، وهي: امتداد موهوم أخذ من المشار منه إلى المشار إليه.

تعريف الكم المنفصل

والكم المنفصل: ما لم يكن بين أجزائه حدٌّ مشترك .

وذلك كالعشرة: فإنك إذا أنصفتَها كان منتهى النصف الأول الخامسَ، وهو جزء منه داخل فيه وخارج عن الآخر أيضًا، فلم يكن ثم أمر مشترك بين قسمي العشرة، وكذلك إذا قسمتها إلى ستة وأربعة.

الكم المنفصل قسم واحد، وهو العدد.

والكم المتصل أربعة أقسام:

(1) الجسم.

(2) والخط.

(3) والسطح.

(4) والزمان.

لأنه:

- إمّا قار الذات، أي: يجوز اجتماع أجزائه المفروضة في الوجود.
- أو غير قارها.
    - الثاني: هو الزمان.
    - والأول: إمّا أنْ يقبل القِسمة:
        - في جهة: وهو الخط.
        - أو جهتين: وهو السطح.

- أو ثلاث: وهو الجسم التعليمي.

فهو عبارة عن الكمية، أي: المقادير القائمة بالجسم الطبيعي ـ وهو الجوهر المتحيِّز ـ.

***

مقولة الكيف

تعريف الكيف : «هيئة قارة لا تقتضي قسمة ولا نسبة لذاته» .

وهذا تعريف القدماء ، وعرفه المتأخرون بأنه : «عرض غير قابل للقسمة والنسبة بذاته».

والهيئة والعرض مفهومان متقاربان، إلا أن العرض يقال باعتبار عروضه، والهيئة باعتبار حصوله.

وإنما قيد (بذاته) لأن بعض الكيفيات بواسطة الجسم تقبل القسمة ، كالسواد والبياض بواسطة الجسم الذي هو حال فيه.

أقسام الكيف الأربعة

انحصر الكيف بالاستقراء في أربعة أقسام:

(1) **كيفيات نفسانية**: أي: مختصة بذوات الأنفس، كالحياة والعلم والصحة.

وأشار لها الفاضل المصنف بقوله: (ما اختص بالأنفس فذا النفساني).

اعلم أن العلماء اختلفوا في المراد بالأنفس:

- **فقال بعضهم: إن المراد من الأنفس:** هو الأنفس الحيوانية، بمعنى: أنها تكون من بين الأجسام للحيوان دون النبات والجماد، فلا يمتنع ثبوت بعضها للمجردات من الواجب تعالى وغيره.

- **وفسرها بعضهم:** بذوات الأنفس مطلقًا، ليشمل: «الأنفس النباتية»، ومن هنا قيل: إنّ الصحة والمرض يتحققان في النباتات أيضًا.

وهي:

- **إما راسخة ، وتسمى: «ملكة».**
- **أوْ غير راسخة، وتسمى: «حالاً».**

كالكتابة فإنها في ابتدائها حال، وإذا استحكمت كانت ملكة.

تنبيه: اعلم أيها النابه أنّ الاختلاف بين الملكة والحال بالعوارض المفارقة؛ لأن الكيفية النفسانية أوّل حدوثها حال، ثم هي بعينها تصير ملكة، والأمور المختلفة بالفصول يمتنع أن ينقلب بعضها إلى بعض.

وسميت الأولى: «**ملكة**» ؛ إما لأنها ملكت صاحبها فلا يتمكن من التحول عنها ، وإما لأن صاحبها ملكها بحيث يصرفها حيث شاء.

وسميت الثانية: «**حالا**»؛ لأنها إما من التحول؛ لأن التحول عنها ممكن بسهولة، وإما لأنها حاصلة في الزمان.

(2) **وكيفيات كميَّة:** أي: مختصة بالكميات، كالمثلثية، أي: الهيئة الحاصلة من التثليث القائمة بالشكل المثلث، فالمثلث كم متصل، وتلك الهيئة كيف.

(3) **وكيفيات استعدادية**: أي: تهيىء الجسم الذي قامت به وتعده لقبول أثرها وعدمه بسهولة، كـ«**اللين**» وتسمى: «**ضعفًا**»، و«**الصلابة**» وتسمى: «**قوة طبيعية**».

(4) **كيفيات محسوسة** : بإحدى الحواس الخمس الظاهرة:

- كالحرارة والبرودة الْمُدْرَكَيْنِ باللمس.
- وكالألوان والأضواء المدرَكين بالبصر.
- وكالأصوات والحروف المدرَكين بالسمع.
- وكالروائح المدرَكة بالشمِّ.
- وكالمذوقات المدرَكة بالذوق.

والكيفيات المحسوسة :

إما راسخة : كـ«حلاوة العسل» و«ملوحة الماء» **وتسمى**: «**انفعاليات**»؛ لانفعال الحواس عنها، أي: تأثرها بها، فإنّ الحاسة ـ أعني: القوة الذاتية ـ تتكيف بحلاوة العسل وملوحة الماء.

أو غير راسخة :

سريعة الزوال: كـ«حمرة الخجل» و«صفرة الوجل» **وتسمى**: «**انفعالات**»؛ لأنها لسرعة زوالها شديدة الشبه «بأنْ ينفعل»، فخصت بهذا الاسم تمييزا بين القسمين.

***

مقولة الأين

تعريف الأين : هيئة تحصل للجسم الطبيعي بالنسبة إلى حصوله في مكانه.

أقسام الأين

ينقسم الأين إلى:

حقيقي: وهو كون الشيء في مكانه المختص به الذي لا يستغني عنه، ككون زيد في موضعه الذي شغله بالمماسة.

وغير حقيقي: وهو الذي لا يكون كذلك، ككون زيد في البيت، فإنّ جميع البيت لا يكون مشغولاً به على وجه يماس ظاهره جميع جوانب البيت، أو كونه في الدار، أو في البلد، أو في الإقليم، أو في المعمورة، أو في الأرض كلها، أو في العالم، فكل هذه أينيات غير حقيقية؛ لأنه إذا سئل عن زيد مثلا أين هو؟ يصح أن يجاب بكل واحد من هذه الأينيات، فيقال هو في البيت أو في الدار ... إلخ.

أنواع الأين الأربعة على رأي المتكلمين

حصر المتكلمون «الأين»، ويعبرون عنه بـ «الكون» في أربعة أنواع:

(1) اجتماع.

(2) وافتراق.

(3) وحركة.

(4) وسكون.

اعلم أنّ مذهب المتكلمين: أنّ وجود الكون ـ الذي هو الحصول في الحيز ـ ضروري لا يحتاج إلى إقامة دليل؛ ولأنّ المسمى بالحركة منه لا يسع من لا نظر له كالبله والصبيان إنكار وجوده. وأما باقي الأقسام فلا يمتري أحد في أنها معه حقيقة واحدة، وإنما اختلفت في الاعتبارات المفرقة بينها؛ إذ السكون هو أيضًا حصول في الحيز قطعًا، وكذا الاجتماع والافتراق، وإنما فارقت الحركة في أن الكون الذي هو الحركة يشترط فيه المسبوقية

بالحيز، والسكون لا يشترط فيه ذلك ولكن يشترط فيه المسبوقية بحصول في ذلك الحيز، والمسبوقية المذكورة اعتبارية بها وقع التمييز.

وكذا الاجتماع والافتراق هما أيضًا حصول في الحيز، ويفارق الأول منهما غيره: بكون ذلك الحصول مع جرم لا يصح حصول آخر بينهما، والثاني كذلك مع صحة حصول آخر بينهما، فمميز كل منهما أيضًا اعتباري كما هو ظاهر.

***

مقولة المتى

تعريف المتى : هو حصولُ الشيء في الزمان.

أقسام المتى

(1) حقيقي: إنْ كان الزمان لا يفضل عليه كصوم يوم، وكُسوف ساعة معينة .

(2) وغير حقيقي: إن كان الزمان يفضل عليه، كالأسبوع، والسنة، والشهر بالنسبة لما وقع في بعض أجزائها.

فالمتى كالأين، إلا أنّ حقيقي المتى يجوز فيه الاشتراك، بأنْ تتصف أشياء كثيرة بالكون في زمان معين؛ لعدم الانطباق، والامتلاء الذي تقرر في المكان، بل انطباقه مجرد مقارنة وانتساب؛ لما يحصل فيه، ولا شك أنّ الشيء الواحد قد يعتبر مقارنته وانتسابه لأشياء متعددة من غير تزاحم في مثل هذا



القدر من الانتساب، بخلاف حقيقي الأين، فلا يتأتى مشاركة عمرو لزيد ـ مثلاً ـ في مكانه الحقيقي.

***

مقولة الإضافة

تعريف الإضافة: هي النِّسبة المتكررة ـ أي: التي لا تعقل إلا بالقياس إلى نسبة أخرى معقولة بالقياس إليها ـ .

ومعناه: أنْ تتعقل النسبتين معًا من غير تقدم لإحداهما على الأخرى.

وذلك كـ «الأبوة»، فإنّ تعقل ذات الأب بوصف كونه أبًا يستلزم تعقل ذات الابن بوصف كونه ابنًا، وبالعكس، فهو دور معي؛ لأنّ كلا منهما متوقف على الآخر بحيث لا يتقرر أحدهما ذهنًا وخارجًا إلّا وهو مقيس بصاحبه، وملحوظ بإزائه، لا سبقيّ وهو القاضي بتقدم شيء على آخر تقدم عليه وهو محال.

فخرجت:

سائر الأعراض النسبية؛ إذ لا تكرر فيها.

ونحو الملزومات البيِّنة اللوازم؛ إذ ليس تعقل اللوازم مع تعقل ملزوماتها، بل تعقل الملزومات يستلزم ويستعقب تعقل اللوازم،

ولو فرضنا المعيّة فتعقل اللوازم لا يستلزم تعقل الملزومات، فليس كل مستلزمًا للآخر كما هو معنى الإضافة.

فهي أخص من مطلق النسبة المتحققة في المقولات السبعة النسبية .

إطلاقات الإضافة

تطلق الإضافة على:

- «الأمر النسبي العارض» كالأبوة، ويسمى: «مضافًا حقيقيًا».
- وقد تطلق على: «ذات المعروض لهذا العارض».
- وقد تطلق على: **المجموع المركب من المعروض والعارض، وهو المجموع الحاصل من «الماهية التي تعرض لها الإضافة، ومن الإضافة العارضة لها»**.

ويُسمّى كل من هذين الأخيرين: «مضافًا مشهوريًا»

اعلم أنّ المضاف الحقيقي:

- قد يكون متخالفًا في الجانبين، كالأبوة والبنوة، وكالجنسية والنوعية.
- وقد يكون متوافقًا فيهما، كالمؤاخاة.

***

مقولة الوضع

تعريف الوضع: هيئة عارضة للجسم بنسبة بعض أجزائه إلى بعض، وبنسبتها إلى الخارج، كالقيام والانتكاس.

اعلم أن الوضع يطلق على معان بالاشتراك الصناعي:

الأول: كون الشيء بحيث يشار إليه بالإشارة الحسية أنه هنا أو هناك ، فالنقطة ذات وضع بهذا المعنى ، بخلاف الوحدة.

الثاني: «هيئة تعرض للجسم بسبب نسبة أجزائه بعضها إلى بعض»، وهذا يسمى بالوضع بمعنى جزء المقولة؛ لكونه جزء من الوضع بالمعنى الثالث.

الثالث: «هيئة تعرض للجسم بسبب نسبة أجزائه بعضها إلى بعض، ونسبة المجموع إلى ما هو خارج عن الجسم، سواء كان في داخله كما في وضع الحاصل للجسم المحيط ـ أعني محدد الجهات ـ أو في خارجه كما فيما سواه» وهذا المعدود من المقولات ، ويقال له الوضع بمعنى تمام المقولة.

مقولة المِلْكِ (الجِدَة)

تعريف المِلْك ـ بكسر الميم ـ، وتسمى: «مقولة الجِدَة ـ بكسر الجيم وتخفيف الدال المهملة ـ من وجد بمعنى استغنى، وتسمى أيضًا : «مقولة لَهُ»، واللام للملك، فكل بمعنى واحد.

وهي: كون الجسم بحيث يحيط بكله أو ببعضه ما ينتقل بانتقاله، سواء كان المحيط طبيعيًا كالإهاب لنحو الهرة، أو غير طبيعي كالثوب والعمامة.

فإذا أحاط بكل الجسم أو ببعضه شيء، لكن لا ينتقل بانتقاله كالبيت، أو انتقل شيء بانتقال الجسم لكنه غير محيط به كقميص موضوع على نحو رأس فلا يكون ذلك من مقولة المِلك،

***

مقولة الْفِعْلِ وَالإِنْفِعَالِ

«مقولة الفِعْل» وتُسمّى: مقولة «أنْ يَفْعَلَ».

هي: تأثيرُ الشيءِ فِي غيِره على اتصال غير قارٍّ ـ أي: ثابت ـ، بل يقع على سبيل التدريج.

فتأثيرُ حرارة النار في الماءِ الموضوع في الإناء عليها يقال له من مقولة «أن يفعل» ما دامت النار باقية.

«مقولة الانفعال» وتسمى: مقولة «أن ينفعل»: هي تأثُّرُ الشيء عن غيره على اتصال غير قارٍّ.

كالمسخَّن ما دام يتسخن، فإنّ له حينئذ حالة غير قارة هي التأثر ـ أي: التَّسَخُّن ـ، فيقال للتسخن «إنه مقولة أن ينفعل» ما دامت الحرارة مؤثرة فيه.

تنبيه: علم مما تقدم تلازم المقولتين وجودًا وعدمًا، فمتى وجدت مقولة الفعل وجدت مقولة الانفعال، ومتى عدمت عدمت.

فائدة : اعلم أيها الفاضل أن التعبير بـ «أن يفعل» و«أن ينفعل» أولى من التعبير بـ«الفعل والانفعال» لأن هاتين المقولتين أمران متجددان غير قارين، والمفيد لذلك هو التعبير بصيغة «يفعل وينفعل»، فالفعل المضارع يدل على الاستمرار التجددي، وحيث إن التدرج اعتبر فيهما يكون التعبير بما يدل عليه أولى، وأما«الفعل والانفعال» فإنهما قد يطلقان على الحاصل بعد انقطاع الحركة .

وليدل على أنه ليس المقولة إلا فعل الفاعل حال كونه فاعلاً، أو انفعال المنفعل حال كونه منفعلاً، لا ما يحصل بهما.

تنبيه : اعلم أن الحال الحاصل بعد الاستقرار ليس من قبيل هاتين المقولتين وإن كان قد يسمى «أثرًا» و«انفعالاً»، بل يكون كيفًا كالسخونة الحاصلة للماء، أو وضعًا كالقيام الحاصل للإنسان، أو كمًا كالطول الحاصل للشجر، أو غير ذلك من الأعراض.

وكذا الحال الحاصل للفاعل قبل التأثير وبعده ـ كما أشار الفاضل المصنف ـ ليس من هذا القبيل وإن كان قد يسمى بذلك، كقوة النار تسمى إحراقًا.

تنبيه : اعلم أنه حيث اعتبر التدرج في مقولتي «أن يفعل» و«أن ينفعل» خرج التأثير والتأثر الإبدعيان، كإخراج الواجب تعالى العقل من الليس إلى الأيس، وقبوله بمجرد الإمكان الذاتي الوجود منه تعالى.

***